الملف الوثائقي

**مختارات من وثائق الحكم المصري في الشام (١٨٣١ - ١٨٤١)
المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة**

إعداد وتقديم

د. عبد اللطيف محمد الصباغ

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب - جامعة بنها

تقديم

الحكم المصري في الشام (١٨٣١-١٨٤١)

حققت مصر مركزاً عالمياً مرموقاً خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، في ظل قيادة واعية حكيمة. وتأتى أهمية عصر محمد علي من شخصيته الفذة الفريدة، فيعتبره الكثيرون باعثاً للنهضة المصرية الحديثة، في تجربة وضعت مصر في مكان الصدارة بين أقطار المنطقة، إيماناً من أصحاب هذه المدرسة بدور الفرد (العظيم) في صناعة التاريخ. وفي المقابل وقف آخرون يشيرون إلى دور مصر والمصريين في صناعة تاريخ تلك المرحلة، ولا يعدو محمد علي عندهم كونه فرداً استغل إمكانات مصر لتحقيق مآربه. وبين هذا الموقف وذاك لا نستطيع أن نرجح دور أى منهما على الآخر، فعبقرية مصر بإمكاناتها المكانية (الاستراتيجية) والاقتصادية والبشرية كانت بحاجة إلى رجل عظيم يخطط لاستخدام هذه الإمكانيات، ولا يغنى أي منهما عن الآخر، فالعلاقة هنا تكاملية وليست تنافسية. مع عدم إهمال عنصر الزمن الذي يختلف دوره من مرحلة إلى أخرى.

وقد اعتبر المثقفون من مسيحي بلاد الشام تجربة محمد علي التوسعية محاولة جادة لإقامة دولة عربية منفصلة عن (الخلافة) العثمانية، واستبشروا خيراً بسياسة التسامح الدينى التي أبداهها محمد علي تجاه أهل الذمة في بلاد الشام، بإعفائهم من الأعباء المالية التي أثقلت كاهلهم، نتيجة فساد الإدارة المحلية في العهد السابق، ولم يبق عليهم من عوايد سوى الجزية وضريبة الرأس التي فرضت على الجميع بعد ذلك بما فيهم المسلمين. وتمثل هذه المحاولة في نظر هؤلاء المثقفين إرهابات قوية للفكر القومى العربى.

ولكن من الصعب تصنيف تجربة محمد علي باعتبارها فكراً عربياً أو محاولة لإقامة دولة عربية، لعدة أسباب: لعل أهمها أن محمد علي نفسه لم يكن عربياً، ولم يرد في وثائق تلك الفترة -وهى غزيرة جداً- أى إشارة إلى فكر عربى

أو تعصب للعنصر العربي، وكانت الفكرة الإسلامية أقرب إلى الأذهان آنذاك من الفكرة العربية، وإن كانت لم تشغل حيزاً من فكر محمد علي باشا. أما الفكرة القومية فهي وليدة النصف الأول من القرن العشرين، كبديل للفكرة الإسلامية، وهى من وحي الفكر الغربى، وتبناها بداية المسيحيون من أبناء العرب.

والواقع أن محمد علي نجح في إقامة كيان سياسى قوى على أنقاض الدولة العثمانية الضعيفة، كاد هذا الكيان أن يأخذ بزمام الأمور في المنطقة، ويقدم بديلاً منطقياً للدولة العثمانية التي أشرفت على مرحلة الانهيار. يقوم هذا البديل بحماية المنطقة في مواجهة الإمبريالية الغربية، لكنه تطور بشكل سريع أذهل قوى الإمبريالية وهدد مصالحها وأطماعها، فتحالفت للقضاء عليه.

ويرى البعض أن جرأة محمد علي على الدولة العثمانية، وسياسته التوسعية على حسابها ساهم في سرعة انهيارها، فقدم ممتلكات الدولة العثمانية للدول الإمبريالية على طبق من فضة، وهى وجهة نظر تدين محمد علي وتهدم جهوده. ولكن من الصعب قبول وجهة النظر هذه، فالدولة العثمانية مرت بالمراحل الطبيعية في عمر الدول والإمبراطوريات، ووصلت إلى مرحلة الشيخوخة. أما مشروع محمد علي فقد كان انهياره جزء من مخطط سياسى للدول الإمبريالية في إطار القضاء على أى كيان قوى يظهر في المنطقة، تكون لديه القدرة على الأخذ بزمامها.

وفي هذا المشروع التوسعي أدرك محمد علي قيمة التكامل بين مصر وكل من السودان وشبه الجزيرة العربية والشام من النواحي السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، وآمن بأهمية هذا المشروع في إعادة المنطقة إلى مكانتها العالمية وردع قوى الإمبريالية الأوروبية الرامية إلى اقتطاع أجزاء من ممتلكات الدولة العثمانية كلما سنحت الفرصة.

ونجح محمد علي في فك طلاسم النسيج الاجتماعي المعقد في بلاد الشام، فاتبع سياسة تسامح ديني مع أهل الذمة، وتمتع هؤلاء بحياة كريمة في

ظل الإدارة المصرية الجديدة، فسمحت لهم ثقافتهم بالاتصال بهذه الإدارة بشكل مباشر وعرض مشاكلهم ومطالبهم، فرفع عنهم كل العوائد غير الموافقة للشرع، والتي كانت تحصل لصالح الولاة والمتسلمين السابقين، وأعفي مخصصات الأديرة ودور العبادة الواردة من الخارج من الجمارك، ومنع استحداث ضريبة تركة على أهل الذمة، كما منع استخدام دوابهم في أعمال السخرة. واستبشر النصارى خيراً بالحكم الجديد، فتعاونوا معه ورحبوا بخدمة أبنائهم في صفوف جيشه، وتسابقوا في خدمة الدولة المصرية.

ومن إيجابيات الحكم المصري في الشام نجاحه في حفظ الأمن، الذي افتقدته البلاد طوال الفترات السابقة، وإحكام قبضة الإدارة المحلية على الأمور، فتقلص نشاط الخارجيين على القانون وقطاع الطرق. كما تخلصت الإدارة المصرية من المشايخ والأمراء المتسلطين غير الملتزمين بالأوامر الحكومية، وأعادت الإدارة المصرية إعمار كثير من القرى، التي تسحب منها أهلها وعمها الخراب، كما قامت بردم البرك والمستنقعات القريبة من المدن، وعملت على صيانة المجارى المائية الخاصة بالرى والصرف وأقامت الجسور، واهتمت بالزراعة، فعندما طبقت التجنيد الإجبارى راعت الإدارة صالح الزراعة فلم تجند الفلاحين إلا بالقدر الذي يسمح باستمرار العمل الزراعى.

ولم تدم فترة التفاهم بين الإدارة المصرية وبلاد الشام طويلاً، فسرعان ما دب الخلاف بسبب السياسة المالية، وتحديد ضريبة الرأس، التي اعتبرها فقراء المسلمين جزية مفروضة عليهم من قبل الإدارة المصرية، على الرغم من مرونتها في التطبيق، فراغت الإدارة مبدأ التخفيف عن المناطق الفقيرة، حتى قلت أحياناً إلى ثلاثين قرشاً من أصل مائة قرش للفرد سنوياً. ولم يقدر أهالي الشام الأزمة المالية التي وقع فيها محمد علي، نتيجة حروبه مع السلطان والتزاماته المالية المطلوبة للأستانة نتيجة اتفاق كوتاهيه ١٨٣٣ .

كما كانت قضية التجنيد الإجبارى من أهم عوامل الخلاف بين الحكومة

المصرية وأهالي بلاد الشام، وكان محمد علي قد لجأ إلى تجنيدهم لتعويض النقص في صفوف قواته ولدرايتهم بدروب البلاد وقدرتهم على التأقلم مع ظروفها المناخية. ومع ظهور بوادر العصيان حاولت الإدارة المصرية نزع سلاح الأهالي، فلاشك أن السلاح يشجع على التمرد والعصيان. وقد جانب الإدارة المصرية الصواب في الجزئيتين الأخيرتين، فطبيعة بلاد الشام لم تكن تقبل نزع السلاح بسهولة، لأن السلاح جزء من شخصية الأهالي هناك، ولاسيما الدروز وأهالي المناطق الجبلية. ولا أدري كيف تستعين الإدارة بجنود لم تستطع إقناعهم بالقضية التي يدافعون عنها؟ وكان طبيعياً أن يتسرب عدد كبير من الخدمة العسكرية، فلجأ إبراهيم باشا إلى إلزام ولى أمر الفرد بكفالته أمام المحكمة الشرعية التابع لها، يتعهد فيها بمسئوليته في إعادة ابنه أو مكفوله إذا هرب من الخدمة، ويضمنه آخر في هذه الكفالة، ويشهد عليها ستة أشخاص.

رفع الدروز وأهالي فلسطين راية العصيان وكبدوا الحكومة المصرية خسائر فادحة في الأرواح والأموال، واضطرت الإدارة إلى مواجهة الثوار بقبضات حديدية، وصلت إلى حد حرق قرى بأكملها ومزارع تحصن بها الثوار، واستولت على ثرواتهم ومقدراتهم باعتبارها غنيمة حرب، واضطر إبراهيم باشا إلى تسميم المياه لتضييق الخناق على الثوار في جبل الدروز وحسم المواجهة معهم. كما أشارت المصادر الشامية إلى أن إبراهيم باشا لجأ في أعقاب القضاء على ثورة أهالي فلسطين إلى أخذ رهائن من أبناء الأسر الكبرى، وكان يسمح بتبادل الرسائل بين الرهائن وذويهم.

واستغلت القوى الإمبريالية وفي مقدمتها بريطانيا هذه الظروف لتشويه صورة الحكومة المصرية، والوقية بين الإدارة المصرية وأهالي بلاد الشام، وبالفعل نجحت في مساعيها حتى أوقعت بين الإدارة المصرية وأقرب المقربين إليها ممثلين في المسيحيين الموارنة، فكانوا آخر من انقلبوا على الإدارة المصرية، وتعاونوا مع القوات المتحالفة لطرد محمد علي من بلاد الشام.

وإذا كانت الآراء قد اختلفت حول تجربة محمد علي، فمنهم من اعتبرها مشروعاً نهضوياً أعاد لمصر دورها الريادي في المنطقة ومنهم من رآها مشروعاً توسعياً استنزف ثروات البلاد لتحقيق مآرب شخصية، فإنه لا يختلف اثنان على أن فترة حكم محمد علي كانت من أزهى عصور مصر من حيث تسجيل الأحداث وغزارة المادة الأرشيفية. وقد تركزت المصادر الأصلية للحكم المصري في الشام بدار الوثائق القومية بالقاهرة، واليوم نقدم ملفاً وثائقياً مختاراً من وثائق تلك الفترة، ويحدونا الأمل أن يحوز إعجاب القارئ، ويجب على بعض التساؤلات التي تطرح نفسها في هذا الموضوع، ويكشف النقاب عن بعض قضايا الغامضة.

وإن تركزت وثائق الحكم المصري في الشام في أرشيف عابدين، لكن تشعب جزء منها في سبع وحدات أرشيفية أخرى أهمها: ديوان المعية السنية وسجلات ديوان الخديوي وسجلات الروزنامة، ومحافظ بحرياً. وكثير من هذه الوثائق باللغة التركية، غير أن حركة الترجمة التي شملت هذه الوحدات الأرشيفية في عهد الملكين فؤاد وفاروق أفرزت مصدراً جديداً باللغة العربية هو محافظ الأبحاث، والذي خصص للحكم المصري في الشام سبعة وعشرين محفظة، إضافة إلى محافظ ملخصات الدفاتر. وهناك تصنيف موضوعي آخر تمثل في الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي باشا ثم من ابنه العزيز إبراهيم، جمعت مادته من كافة الأرشيفات.

وأياً ما كانت دوافع حركة الترجمة فقد قدمت للباحثين خدمات جلية منها فيما يتعلق بموضوعنا:

أولاً: تجميع معظم مصادر الحكم المصري في الشام من أرشيفات عدة في أرشيف واحد بما يوفر الوقت والجهد، فقد كان على الباحث أن ينقب عن مادته وسط بحر خضم من وثائق هذه الأرشيفات.

ثانياً: توفير المصادر باللغة العربية.

ثالثاً: أشارت معظم الترجمات إلى الوثيقة الأصلية، بما يتيح إمكانية الرجوع إليها.

وإضافة إلى المصادر العربية تحتفظ دار الوثائق القومية أيضاً بأرشفة أوروى يضم ثلاث وحدات هي أرشفة وزارة الخارجية البريطانية F.O. والأرشفة الفرنسية والأرشفة الأمريكي، ويقدم مادة وثائقية مجموعة من الأرشفات الثلاثة عن مراسلات قناصل هذه الدول وتقاريرهم. ويعطى خلفية تاريخية لموقف الدول الأوروبية من الحكم المصري في الشام، ودور القناصل في المراقبة وإثارة الفتن، فكل منهم يكشف دور الآخر. ومن مشكلات هذا الأرشفة أن وثائقه مختارة ويفتقد معظمها إلى الفهرسة والترتيب، كما أن بعضها منسوخ بالقلم الرصاص، والبعض نسخة كربونية على ورق شفاف متهاالك.

ولا شك أننا مقصرون في نشر وثائق عصر محمد علي بصفة عامة، مقارنة بما قدمه أهل الشام، ولاسيما مسيحي لبنان من إسهامات كبيرة في نشر وثائق الحكم المصري في الشام. ونكاد نلمح دوراً إيجابياً للجامعة الأمريكية ببيروت - بشكل غير مباشر - في هذه المنطقة، من خلال دورها التثقيفي لمسيحي لبنان، وهي وإن كانت ثقافة موجهة بداتها فرنسا من قبل، إلا أنها أفرزت عقليات واعية بتراث بلادها، منها على سبيل المثال أسد رستم، الذي نشر في هذا الموضوع ثلاث مجموعات وثائقية إحداها باللغة الإنجليزية، بخلاف تحقيق وثيقة الدردار.

كما نسجل للمدرسة الفرنسية باعاً كبيراً في الوعي بأهمية نشر الوثائق الخاصة بالمناطق الواقعة في دائرة اهتمامها، ولاشك أن نشر الأرشيفيين الروسى واليونانى الخاصين بالحكم المصري في الشام باللغة الفرنسية سهل مهمة الباحثين في الاستفادة منهما. كما كان للجمعية الجغرافية المصرية، بالتعاون مع المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة دور كبير في نشر مجموعات الوثائق الفرنسية المتعلقة بالموضوع ذاته، في إصدارات خاصة، وفي المقابل غياب شبه تام للجمعية المصرية التاريخية.

محتويات الملف الوثائقي

رقم الوثيقة	موضوعها
١	كيفية التزام الجمارك
٢	المجالس المحلية تراقب البيع وتحدد تسعيرة السلع (الاستهلاكية)
٣	الإدارة المصرية تفتح الباب لتلقى الشكاوى
٤	تضرر مسلمي القدس من إلغاء الأموال المقررة على أهل الذمة ورد الإدارة المصرية
٥	شكوى ملتزمى الجمارك من استغلال القناصل لنفوذهم.
٦	إعادة إعمار القرى التى تسحب منها أهلها
٧	الحصول على الأخشاب من بلاد الشام
٨	استغلال المعادن فى جبال لبنان
٩	إعادة صناع الحرير المتسحبين وتأمينهم على صناعاتهم
١٠	إعطاء تذاكر للمسافرين لتحديد هويتهم وضبط الأمن
١١	تجريب زراعة القطن الهندي فى شمال بلاد الشام
١٢	رأى إبراهيم باشا فى مسألة أخذ الإعانة من قرى الشام
١٣	البحث عن بديل لاحتكار الحرير الشامى
١٤	تجنيد أهالى بلاد الشام (جنود وضباط)
١٥	مساوئ التجنيد فى بلاد الشام من وجهة نظر إبراهيم باشا.
١٦	كشف إجمالى إيرادات بر الشام عن عامى ٤٨ و ١٢٤٩هـ
١٧	محمد علي باشا يسافر بنفسه إلى فلسطين للقضاء على ثورتها
١٨	توجيهات إبراهيم باشا فى كيفية جمع الأسلحة (بالترهيب واصطناع العملاء)
١٩	إبراهيم باشا بين الأزمة المالية والضغط العسكرى
٢٠	الحرص على تحديث الإدارة المالية لآخر وقت

الوثيقة الأولى

كيفية التزام الجمارك

صورة الوثيقة العربية رقم ١٠٠ بمحفظة ٢٣٢ عابدين (محفظة ٦٦ أبحاث الشام) جرنال وقايع المصلحة بطرف كاتبه يوحنا بحري، من جرنال الجمعة ٧ شوال ١٢٤٧ هـ مكتوب إلى الخوجات سلوم حاطوم ويوحنا الشامية وطنوس عوض ويوسف أنطونيوس من أهالي صور

ورد لنا مکتوبکم وفهمنا ما ذکرتموه عن مرادکم التزام کمارک وأقلام صور وصیدا بزيادة سنوي ٢٥٠٠٠ قرش عن العام الماضي، لإبلاغ مالهم سنوي أربعمئة وخمسون ألف قرش، بحيث، أنه يكون مرفوع عنکم المنزلخانة، لأن من شروط الملتزمين السالفين أنهم عند إجراء المحاسبة في ختام السنة يخصر لهم من مال الميري مبلغ ١٠٠٠٠ قرش ثمن خيل، ويعطى لهم خمسون غرارة شعير من الأنبار عليق، فجميع ذلك صار معلوم والحال أن مال الالتزام كان بالعام الماضي بأربعماية وثلاثين ألف قرش، وقولکم أنه كان يخصر منهم عشرة آلاف قرش ثمن كدش منزلخانة^(١) فهذا عن غير حقيقة لأن شرطنامه الالتزام حضرت لنا وتقيدت بطرفنا ومشروح بها أن الأربعمئة وثلاثون ألف قرش خلاف العشرة آلاف قرش ثمن الكدش، فيقتضى من بعد أن يصير ذلك معلومکم تعرفونا عن مقدار الضم الذي تضموه بهذه السنة، ومن حيث أنه في ناس خلافکم أيضاً زايدين بالالتزام المذكور فينبغي أنکم تعرفونا عن نهاية ما تتقدموا إليه بالضم حتى إذا كان أكثر من زيادة الغير يعطى لکم، وإلا فيعطى لخلافکم، اقتضى إفادتکم.

* * *

(١) كدش منزلخانة: خيل محطة البريد.

الوثيقة الثانية

المجالس المحلية تراقب البيع وتحدد تسعيرة السلع (الاستهلاكية)

ترجمة الوثيقة رقم ١١٥ بمحفظه ٨٨ أبحاث الشام (تراجمر) وقائع جلسة مجلس الشام (دمشق) السبت ١٥ ربيع أول ١٢٤٨ .

قال قائمقام بك في إفادته

إن تجار الصابون وصناعه قد زادوا في سعر الصابون يوماً فيوم حتى أنهم يبيعون الآن كل رطل فيه بتسعة قروش، فلو أهمل مثل هذه الأمور ترك على حالها لأثر جداً في أحوال الرعايا والفقراء المعاشية، فلذلك طلبنا صناع الصابون، ولما استفهمنا منهم كيفية عمل الصابون قالوا لنا ما يأتي: إننا قد اشترنا رطل زيت الزيتون بأربعة قروش، وبعد بضعة أيام اشترينا بأربعة قروش ونصف، ولما قررنا كذلك اتفقنا معهم بعد عمل حساب أحسن صابون، وضم جميع مصاريفها وعلاوة قرش في كل عشرة قروش باسم الربح، أن يبيعوا كل رطل بسعر ستة قروش ونصف وربع قروش بحساب الجملة، وأما القطاععي بحساب الوقيات^(١) فيبيعون كل وقبه بأربعة وعشرين فضة^(٢). وأن قائمة الحساب محفوظة لدينا..."

* * *

(١) صحيحها أوقيات أوقية.

(٢) أربعون فضة تساوي واحد قرش.

الوثيقة الثالثة

الإدارة المصرية تفتح الباب لتلقي الشكاوي

صورة الوثيقة العربية رقم ٩٤ بمحفظه ٢٣٦ عابدين (محفظه ٦٨ أبحاث الشام) من أهالي طرابلس إلى الإدارة المصرية، ١٢ صفر ١٢٤٨ هـ.

يا قاضي الحاجات يا رافعاً المضرات يا الله

جناب حضرة محبنا الأعز الأكرم المحترم سيدي المفخر أدام الله تعالى بقاءه، والمبدي لجنابكم أن ليس خافي جنابكم بخصوص ما هو حاصل بهذه الطرف من حين حضور جناب السيد مصطفى أغا بربر لطرابلس إلى الآن بعدم التفاته إلى الرعية لسبب أنه وضع في الكمرك إبراهيم بن خضر أغا وأحد المذكور اسمه علي تفكجي باشي، وحاصل منهن التعدي الزائد على كافة العلامر من ضرب وشتم وسب الدين وملة وخوض في أعراض وارتكابات معاصي وقطعيات من كافة الطوائف وعوان، ولمر أحد له جراحة يقدم الأعراض إلى مصطفى أغا بربر لسبب عاظيهم وجه، ولمر يقبل عليهم شكوة، ولا سيما الشقاوات الزائدة من أمين الكمرك إبراهيم، وصاير الناس في وجل عظيم من جراء ذلك، والناس زهقت أرواحها من هذا الحال الواقع، ومن المعلوم المؤكد أن ليس كانت الناس عاصية على سعادة أفندينا محمد علي باشا حتى يحضروا ابن خضر أغا يؤذي الناس هكذا أذيات والضرب وأخذ قطعيات ويخوض في أعراضهم من غير باعث. ومن مشهود بين الخاص والعام أن ليس هذه الأحكام جائرة في أحكام سعادة أفندينا محمد علي باشا بكامل الإقليم المصري فالآن نرجوكم أن تعرضوا هذا الأمر على صاحب السعادة أن يعرف جناب مصطفى أغا في رفع أولاد الحرام من بابہ الذين لم يكون مثلهم في البلاد...

الوثيقة الرابعة

تضرر مسلمي القدس من إلغاء الأموال المقررة علي أهل الذمة ورد الإدارة المصرية عليهم

ترجمة الوثيقة رقم ٩٥ من محفظة ٢٣١ عابدين (محفظة ٦٥ أبحاث الشام) صورة
الإعلام الوارد من قاضي القدس الشريف والتماسه ورد الإدارة المصرية عليه
ضمن التقرير العسكري عن يوم الاثنين ٢٩ رجب ١٢٤٧

لدى ورود الإدارة السنية بإلغاء الأموال المقررة والعبودية والعوائد القديمة
والحديثه من ملك النصارى والإفرنج والروم والأرمن والأقباط وطوائف اليهود
والمرتب عليهم في الأموال المفروضة والمعتادات القديمة وأجرة الغفر المقررة
على قراءة القرآن الشريف في باب القيامة، وضرائب الغفر المقررة للمحافظة على
الذهابين إلى نهر الشريعة إلى محكمة القدس، وجهت الدعوة إلى العلماء
والمدرسين الفضلاء والمحدثين والأئمة بالحضور إلى مجلس الشرع وأعلن
مضمونها الشريف على الجميع. وبعد أداء مراسر السمع والطاعة والدعاء ورفع
الأكف بالدعاء بطول عمر دولته. وقد عرض المجتمعون أنهم منصرفون لهذه
الإيرادات يتوارثونها أباً عن جد وقرناً بعد قرن منذ الفتح العمري والصلاحى
والعهد العثمانى بموجب سندات شرعية وفتاوى مرعية. وحيث إنهم يعتقدون
أعتقاداً جازماً بأنهم سيعيشون في أمان ورخاء وطمأنينة في ظل عدالة دولتك،
فهم يلتزمون بإبقاء القديم على قدمه رحمة بضعفهم وفقرهم ومنعاً لتشتتهم
وتفرقهم فأعرض على دولتك وقائع الحال بأمل التفضل بقبول ملتسهم رحمة
بفقر أهالي بيت الله وضعفهم:

والحقه القاضي بصورة الالتماس التالي:

التماس عبد كمر

عبد كمر جاء من الأستانة العلية وبمعبيته عشرون نفرًا من أولاد ونساء وأتباع، وتكبدت مصاريف كثيرة تبلغ ستون سبعون ألف قرش وقد انتظرت ثلاثين^(١). حتى جاء دوري، واستدنت ما به ألف قرشًا، وبينما كنت أومل تخفيف الديون بإيراد منصف قضاء القدس ونوال إحسانات دولتكمر الفياضة إلا أنني ينست جداً بعد ورود أمر دولتكمر المتضمنة إلغاء العوائد والضرائب عن الملل الثلاثة.

وقضاء القدس الشريف ليس كباقي الأفضية وليس له حاصلات، وإنما منفعتنا هي الأموال المقررة على الملل المذكورة، أما إيراد المحكمة فهو عبارة عن خمسمائة قرشاً شهرياً، وفي ملحقاته جهة أخرى، وأن مصاريف عبد كمر تبلغ الفين قرشاً شهرياً، وبهذه الصورة أصبحنا في شدة كلبية، وأن عدل دولتكمر لا يرضيه ما صرنا إليه، ولا يرضي دولتكمر الغدر الذي أصبنا به. فإذا لم تفضلوا بالإنعام علينا بالعوائد الملغاة فنصبح في شدة كبرى وضائقة عظيمة، وعليه فإني قدمت هذا الالتماس إلى أعتاب دولتكمر الرحيمة بأمل شمولنا بعنايتكم الكاملة.

وردت الإدارة المصرية بالصورة التالية على قاضي القدس:

اطلعنا على الإعلام الشرعي والمحضر المتضمن أنه كانت ألغيت العوائد المقررة على الملل العيسوية والموسوية الفاطنة في القدس الشريف بموجب الإرادة الصادرة منا فيما تقدم والملتمس بها تركها للمتصرفين فيها من قديم الزمان أباً عن

(١) لم يحدد تمييزاً.

جد، كما اطلعنا على الإعلام الآخر الذي شرحتم فيه متاعب فضيلتكم من جهة المعيشة بسبب ذلك. وحيث أن رفع هذه العوائد لا يستدعى للأسف، فقد كتبنا إلى فضيلة المفتي وإلى شيخ الحرم الشريف صاحب السماحة عمر أفندي بعمل دفتر يرصد فيه كيفية جباية هذه العوائد، وكم يبلغ مقدارها في السنة^(١) ولمن تصرف. وتقديمها بواسطة شيخ الحرم إلينا. وبوصول هذه المعلومات سنريح كل شخص وسنرفع أسباب المتاعب عنكم. وإنا لنتنهنز هذه الفرصة للسؤال عن خاطركم بتذكركم بتوجهاتكم الخيرية^(٢).

(١) وطلبت الإدارة المصرية من وكلاء النصارى ووكلاء اليهود دفاتر بقيمة الضرائب والعوائد التي كانت مفروضة عليهم، لمقابلاتها مع الدفاتر المقدمة من أئمة المسلمين، محفظة ٦٥ أبحاث الشام، صورة التقرير العربي رقم ١٤١ الوارد من يوحنا بحرى إلى محمد علي باشا ٦ شعبان ١٢٤٧ هـ.

(٢) يقصد بتوجهاتكم.

الوثيقة الخامسة

شكوى ملتزمي الجمارك من استغلال القناصل لنفوذهم

صورة الوثيقة العربية رقم ١٧٥ من محفظة ٢٣٥ عابدين (محفظة ٦٨ أبحاث الشام) من جرنال ٢٧ محرم ١٢٤٨هـ

ورد مكتوب من الخواجة صليبا وصوص وكميد ملتزمين جمرك بيروت وضمنه شقة مفصلة بخصوص مغدورية حاصلة على إيرادات الكمرك من الإفرنج بسبب جلبهم الأرزاق التي تخص أولاد العرب على اسمهم بتذاكر ريفية^(١) يدعوا أنه أمانة الشام، يدفعوا عليه رسم كمرك زهيد، وإن قنصل أمريكا المستجد لاهو تاجر ولا عنده تاجر من طائفته، خصص لنفسه ترجمان يسمى أبو عون سرسق من خاص التجار، رجل لا يعرف غير لغته العربية وحتى لا يحسنها، وأن جميع أرزاق هذا التاجر صارت ترد برسم القونسوس، وعلى هذا وقس، يدعون بتعطيل الكمرك، فتحرر لهم الجواب بأنهم هم كانوا ملتزمين بمدة الوالي السابق، وأنه بأيام سعادة أفندينا توجه عليهم الالتزام بأن يمشوا على الأصول الجارية ولا يخنرخوا أصول جديدة، وأن هذا كانوا يصنعونه هم سابق، وجرى وطرق عادة، ويحيث التزموا بأن يسلكوا على الأصول السابقة، فهذا الإدعاء الآن ماله محل.

* * *

(١) بجمارك مخفضة أو بدون.

الوثيقة السادسة

إعادة تعمير القرى التي تسحب منها أهلها

وثيقة رقم ٧٨ بمحفظه ٢٣٩ عابدين (محفظه ٧ أبحاث الشام) من جرنال ديوان
محروسة دمشق الشام، الأربعاء ٩ جماد أول ١٢٤٨هـ

حيث التزم قرية بصرى من قرايا حوارة عبد الرازق أغا قباقيبى وجدها
خارية وأهلها نازحة، فأعرض أمرها إلى المجلس الشورى، فصدر حكم المجلس
بإرجاع أهلها بأمر قائمقام، فأحضروا صالح المقداد شيخ القرية المذكورة وحرر
قائمقام بك تذكرة على يده ووجه صحبتته مباشر إلى القرايا التي عرف عنهم
الشيخ المذكور الموجودة بها فلاحينه تتضمن: بأن حيث اقتضى بالضرورة عمار
القرايا وردود الرعايا ورفاهية العباد وراحة البلاد بحسب استيلاء معدلت هذه
الدولة السنية صانها رب البرية، وبحسب ذلك ففلاحين قرية بصرى المذكورة
جميعهم يرجعوا إلى قريتهم ويزرعوا بها في هذا الموسم ويباشروا عمارها
ويتركنوا ويعمروا محلاتهم حسب عوايدهم، وإن شاء الله تعالى يشاهدوا مزيد
الحماية والصيانة والرعاية من كل وجه، والذي يتأخر عن الرجوع إلى قريته لا
يقدر على رد الجواب".

* * *

الوثيقة السابعة

الحصول على الأخشاب من بلاد الشام

تلخيص الوثيقة رقم ٢٣٣ بمحفظة ٢٣٩ عابدين (محفظة ٧٠ أبحاث الشام) تقرير
عن قطع الأخشاب في الفترة من ٢٤-٢٨ جماد أول ١٢٤٨ هـ مقدم من رشيد
أفندي إلى جناب السر عسكر، ٢٩ جماد الأول ١٢٤٨ هـ

يقول أنه لم يوفق في هذه الأيام الأربعة لإتزال الخشب من الجبال بالرغم
من أنه ورفاقه يذهبون إلى الجبال، فيبحثون عنه من الصباح إلى المساء، إلا أنهم
لقوا الخشب، المطلوب في جهتين من جبال أرسوز أحدهما طريق ينتهي إلى
إنطاكية، وأنه وجد على بعد خمس ساعات من هذا الطريق ثلاثة أنواع من
الخشب أحدهما يصلح لإنشاء غرف ذات ثلاثة العنابر، والثاني لإنشاء غرف
القباقات والثالث يصلح ألواحاً للقباقات، وأنه يمكن قطع ستة آلاف خشبة من هذه
الأنواع على ما قرره إسماعيل الأفرنجي، وأنه لا يوجد فيها سوى شجر الصنوبر،
وأنه لا يوجد العدد الكافي من الجاموس لنقلها، وإن النقل إنما يمكن لغاية ٢٨ من
رجب وتنزل الثلوج بعد ذلك، وأن الخشب الذي وجد في الجهة الثانية ثلاثة
أنواع أيضاً وهي تصلح في إنشاء ما تقدم ذكره، إلا أن الذي يصلح لإنشاء غرف
لذات ثلاثة العنابر قليل، وأنه باذل جهده في قطع هذه الأصناف. وأنه سيتخذ
كشفاً عن نفقات قطعها ونقلها، وأنه حسب حساباً وسيطاً فوجد أن كل خشبة
تكلف في قطعها ونقلها لغاية الساحل ستين قرشاً، ثم طلب إرسال مبلغ من المال
وإصدار أمر باقتطاع الخشب، وشكاً من بعض تصرفات الشيخ إسماعيل، وقال لا
يجوز تسليم المال إليه لأنه لا يدري ماذا أخذ وماذا صرف.

الوثيقة الثامنة

استغلال المعادن في جبل لبنان

وثيقة رقم ٨ بمحفظه رقم ٢٤٩ عابدين لمحفظه ٧٥ أبحاث الشام من (١) إلى
ولى النعم، ٤ محرم ١٢٥٠هـ

ولى النعم أفندى سلطاننا المعظم أدام الله تعالى دولته بعد لثم الأذبال
يعرض عبد كمر أنه في أيمن طالع سعيد تشرفنا بورود المرسوم الكريم الناطق
فحواه العالم الوسيم بالاستعلام من عبد كمر هذا عن معدن الفحم الحجري
وعن معدن الحديد، هل انكشف الثلج عن محلاتهما، وهل معدنجنية الفحم
كشفوا عن المعدن المذكور، فجميع ذلك صار قرين إذعان عبد كمر، فأما محلات
معدن الفحم ومعدن الحديد فقد انكشف عنهما الثلج وما بقى مانع، ومعدنجنية
الفحم من برهة أرسلنا أحضرناهم من صيداً بجميع آلاتهم، فحضروا إلى بيروت
بحراً ومنه توجهوا إلى محل يقال له قرنايل ومارحينوا يختبروا غيره، وحضرت
جميع آلاتهم وأرسلنا وضعنا عندهم مباشراً من أوادنا يقدم لهم جميع ما
يلزمهم من فعالة وغيره مما يلزم لإدارة المصلحة. وقبل الآن قدمنا عرضحال
لأعتاب دولتكم بعلم حضورهم واسترحمنا من لدن عنايتكم صدور أمر
سعادتكم بإرسال ناظر لهذه المصلحة لأن المذكورين مطالبهم اللازمة للمصلحة
ولغير مصلحة كثيرة جداً، فإذا كان موجود ناظر فهو يعرف اللازم ويطلبه، ونحن
نقدم له جميع ما تقتضى ويطلبه، والأمر بذلك لدولتكم، والمعدنجنية المذكورين
إلى الآن لم يزل ما دوروا الشغل، إنما مباشرين عمل الآلات والأمور المقتضية
لإدارة الشغل والحالة هذه، وأما معدن الحديد فمن حيث أنه انكشف عنه الثلج
فإن تحسن لدى دولتكم يصدر أمر سعادتكم بإرسال المعدنجنى والأمر
لسعادتكم وأدام الله تعالى دولتكم أفندى

* * *

ختم بشير

(١) الختم به اسم بشير، فالأرجح أنه الأمير بشير الشهابى حاكم الجبل.

الوثيقة التاسعة

إعادة صناع الحرير المتسحبين وتأمينهم على صنعتهم

صورة الوثيقة العربية رقم ٢٣٦ بحفظه ٢٣٨ عابدين (محفظه ٧٠ أبحاث الشام)
من جرنال ديوان محروسة دمشق الشام، الثلاثاء ٢٣ ربيع آخر ١٢٤٨هـ

أنه حضر بعض أنصار ذميين نصارى من حملاء الدين يشتغلون بصناعة الحرير، وأعرضوا لقيام مقام بك عنهم وعن رفاقهم أنه بحسب ما صادفهم من السنين السابقة من المغامر والمخاسر الشاقة والتكاليف الباهظة آل حالهم إلى العدم والاضمحلال وتفرقوا عن موطنهم وتركوا عيالهم وأولادهم، وحضر هؤلاء منهم شاكين هذه الأحوال المذكورة، فحرر قيام مقام بك تحرير إلى رشيد أغا بذلك الشرح وعرفه أن جميع الرعايا الآن حاذوا الراحة والأمان والأمن والاطمئنان بأيام معدلة هذه الدولة السعيدة، سيما وحيث لله الحمد جميع المخاسر والمغامر والبدع والمظالم القديمة قد انتسخت بأشعة مراحم سعادة أفندينا ولى النعم المعظم. فينبغي إذن أن تكون جميع الرعايا متساوية بالراحة والاستراحة مقدمين خير الدعاء بدوام أيام دولة أفندينا، وأن الأمل بوصول التحرير إلى الأنصار الفارين ويؤانسهم ويطمئنهم ويأمنهم ويستجبلهم إلى بيوتهم ويعاملهم بمزيد الحماية والصيانة وأن يكون لهم وإلى أمثالهم من طائفتهم مزيد المساعدة في نتاج مطلوباتهم بوجه الحق وتسهيل مصالحهم لضجوا بخير الدعاء بتأييد سطوة إقبال هذه الدولة العادية العميقة المراحم، وأن الأمل إتمام مهامهم على الوجه المشروح وبفيده رجوعهم إلى محلاتهم.

الوثيقة العاشرة

إعطاء تذاكر للمسافرين لتحديد هويتهم وضبط الأمن

صورة الوثيقة العربية رقم ٢٠٢ بمحظة ٢٣٨ عابدين (محظة ٧٠ أبحاث الشام)
من جرنال وقايع المصلحة، السبت ٢٠ ربيع ثان ١٢٤٨هـ

تحريرات إلى المحلات المرقومين لأجل إعطاء التذاكر.

أنه من أصول هذه البلاد جميع المارين والعابرين لازم يكون بيدهم تذاكر
مختومة من قضاة ومتسلمين المحلات الذي يتوجهوا منها، وكل إنسان يتوضح في
تذكرته اسمه واسم أبيه وشكله واسم كفيله، فيلزم منكم تراعوا هذه الأصول،
وكل من مر عليكم من الآن فصاعداً من أجناس عسكر وخدام واتباع ورعايا
وتجار متسببين كايين من كان ولم يكن بيده تذكرة على هذا المنوال فترجعوه
على عقبيه ولا تمكنوه من المرور. والذي يسافر من طرفكم تعطوه تذكرة على
هذا المنوال، ودائماً تكونوا مراعين هذا الترتيب ولا تغفلوا عنه.

إلى مستلم صفد إلى مستلم طبريا إلى مستلم تبين وهونين

شرح

شرح

شرح

إلى الأمير بشير متسلم طرابلس إلى متسلم يافا إلى متسلم حيفا

شرح

شرح

شرح

شرح

* * *

الوثيقة الحادية عشر

تجريب زراعة القطن الهندي في شمالي بلاد الشام

ترجمة الوثيقة التركبية رقم ٢٨٤ بمنطقة ٢٥٠ عابدين (محفظة ٢٥ أبحاث الشام)
من خطاب أمير اللواء محمد بك بأدنه وطرسوس إلى دولة الباشا السر عسكر، ٢٠
شعبان ١٢٥٠هـ

يبدى أهالي أدنه في ظل دولتكمر رغبة شديدة في الزراعة، حتى يقال أنه لم
تشاهد سنة زرع فيها الزرع في وقته مثل هذه السنة، ويعمر في أدنه وطرسوس
نحو عشر قرى جديدة، وتتقدم شئون الزراعة يوماً فيوماً.

وفي السنة الماضية لم تكن تقاوى القطن الهندي قد وصلت في ميعادها، ولم
تكن زرعت بسبب ذلك، فسيزرعونها هذه السنة، غير أنى زرعت بعض أفدنه على
سبيل التجربة، وهى وإن لم تزرع في وقتها، ومع ذلك نبتت، وأنبتت كل شجيرة
نحو خمس أو عشر لوزات.

* * *

الوثيقة الثانية عشر

رأى إبراهيم باشا في مسألة أخذ الإعانة من قرى الشام

ترجمة الوثيقة رقم ٢٤/٢٤٦ بمحفظه ٢٥٤ عابدين (محفظه ٢٨ أبحاث الشام) من إبراهيم باشا إلى سامي بك، ٢٣ رجب ١٢٥٢هـ.

حضرة صاحب السعادة والنجابة والمروءة أخى المحترم سامي بك قد أطلعنا على الإرادة العليا الصادرة بشأن استئذان شريف باشا قبلاً في أخذ الإعانة أو عدم أخذها من معلولي الجهادية، والتي جاء فيها أنه يجب أن يعتمد على الإعانة المطروحة على الجهادى المجند ببلاد الشام فتوزع على الأهالي القادرين من الشوام، لأن عدم طلب الإعانة من المعلولين والجنود قد أصبح من الأصول المرعية نظراً لأن العادة في مصر جارية بتوزيع إعانات المعلولين والجنود والمجندين بالقرى المصرية على غيرهم من الأهالي المقتدرين طبقاً للأصول المصرية.

غير أن إعانة مصر وإعانة هذه الجهات ليستا سواءً وأنا لعلنى شئ من العلم بهذه المسألة، وذلك أننا نعلم أن إعانة مصر بقيت على حالها بدون زيادة ولا نقصان منذ أن فرضت على الأهالي... لم يبق أناس في القرى من وجور واعتساف العرب وظلم الوزراء السابقين، إذ أتوا من قبل إلى البنادر وسكنوا فيها، من أجل ذلك فإننا نأخذ معظم الإعانات والجنود من البنادر، كما نرسل منها إلى كل قرية خربة نحتاج إلى العمران من يقوم بإصلاحها كلما مست الحاجة إلى ذلك، ثم إنه عدا أننا لا نأخذ جنوداً من القرى لقلة نفوسها فإننا نخفف عليها في أخذ الإعانة، ونحمل معظم الإعانة على البنادر... أنى لا أعلم بالضبط عدد الجنود الذين جندوا لغاية

الآن، ولكني أظن أنهم يبلغون نحو عشرين ألفاً، فكيف يمكن تحميل إعانات هؤلاء على غيرهم، كما أن معظم المدن أهلة بالإفرنج، فماذا يقول عندئذ أولئك الإفرنج... فإتينا إذا أقدمنا على تنفيذها هنا كذلك فأني أعتقد أنهم سيمثلون الدنيا حينئذ بالعويل والصياح ويشقون جيوبهم مظهرين استياءهم وتذمرهم قائلين أنهم (أي الحكومة المصرية) يريدون تحويل حالة بلاد الشام إلى حالة كحالة مصر فيكون ذلك سبباً مستقبلاً لكراهيتهم لنا ونفورهم منا، ولذلك فأني بقيت متحيراً لا ينطلق لساني يقول شئ، ولا أجد في نفسي جرأة على عمل شئ، وها أنا ذا أبادر إلى ما علمته وأطلعت عليه فأفضي به إليكم احتساباً وتطوعاً... فإذا حاذ ما ذكرناه من أمر أولئك المساكين قبولاً لدى مسامع الجنب العالي فنعم القبول، أما إذا كان الأمر بالعكس فلا شأن لي عندئذ في ذلك إن الملك والرعية كلاهما له، وإنه في حالة إرادة جنابه العالي تنفيذ ذلك يجب أن تصرفوا النظر عنا وتكلفوا بدلاً منا شريف باشا بذلك.

الختم

سلامر على إبراهيم

* * *

الوثيقة الثالثة عشر

البحث عن بديل لاحتكار الحرير الشامي

ترجمة الوثيقة رقم ١٩/٣٤ بمنطقة ٢٤٩ عابدين (محفظه ٧٥ أبحاث الشام) من يوحنا بحري إلى صاحب الدولة، ١٩ محرم ١٢٥٠هـ.

مولاي صاحب الدولة كريم الهمر وحليم الشير ذاكرنا مع حضرة صاحب الدولة الأمير بشير الخطة التي يجب التزامها في شراء خمسين ألف أوقه من الحرير اللازمة لمصلحة الحرير بمصر في هذه السنة المباركة، فاستقر رأينا على العدول عن طريقة احتكار صنف الحرير، وهي الطريقة التي سلكت في العام الماضي، تجنباً من إزعاج التجار والفلاحين، ثم أنه إذا ما طلع المحصول الجديد يقدر له السعر بمعرفة التجار، حسبما هو المألوف، ويكلف من تكون عندهم خبرة في تجارة الحرير من تجار ميناى طرابلس وبيروت بشراء الخمسين ألف أوقه المطلوبة طبقاً للسعر المحدد، وعلى حسب ما يوزعهم عليهم، ويعين أيضاً في كل من بيروت وطرابلس وكيلان من التجار وكاتب وصراف لتسليم الحرير الوارد. إذن فإن كان لابد من شراء الخمسين ألف أوقه الموصى بها إلى عبد كرم فتتكرمون بإرسال المبالغ اللازمة لها بالتدريج ولدى وصولها يشرع في الشراء، والمأمول أن الكمية المطلوبة يتيسر ابتياعها كاملة غير منقوصة بمشيئة الله تعالى، وإن عرض ما تقدم دعائي لتقديم عبوديتي وخضوعي لمولاي.

يوحنا بحري

* * *

الوثيقة الرابعة عشر

تجنيد أهالي بلاد الشام (جنود وضباط)

ترجمة الوثيقة رقم ١٩/١٦ / بحفظة ٢٤٩ عابدين (حفظة ٧٥ أبحاث الشام) من
يوحنا بحري إلى ولي النعم، ١١ محرم ١٢٥٠هـ

أعرض أنا عبد كمر أني تشرفت بورود أمر ولي النعم الصادر في ٢٨ ذي
الحجة وهو الأمر الذي أدلى إلي فيه بأن إرادة مولاي السر عسكر قد اقتضت
إقامة الأورط الثلاث المقرر أخذها لجيشه من الشام (دمشق) وجبل الدروز؛ كل
أورطة في حيثما أخذت أي في دمشق وفي نابلس وفي دير القمر، والذي أوصيت
فيه بأن اكتب إلى عبد كمر صاحب العطوفة الأمير بشير عن الأورطة التي
ستؤخذ من جبل الدروز، فأشعره أنه قد فوض إليه اختيار المكان الذي تحل به
الأورطة، فإن رأى هو أيضاً إقامتها في دير القمر أقامت هناك، وإلا أسكنها تحت
داره، حيث أسكن الآلاي الوارديان^(١) من قبل، على أن أتجنب في الكتابة إليه
أن أقول له اصنع هذا وافعل ذاك، وبأن أبلغ عبد كمر البك الكنحدا أن يجند
الأورطة المقرر تجنيدها من الشام ثم ينزلها محل المدفعيين، على أن يرسل
المدفعيين إلى حمص، وبأن أشخص كاتباً عربياً إلى كل من الأورط المذكورة
لئلا تعتور السقامة حساباتها، وبأن أؤذن عبد كمر البك الكنحدا والأمير بشير
الموماً إليهما بأن ينظر عند نصب الضباط إلى مكانات أبانهم^(٢) فيمنحوا كل ضابط
رتبة تناسب اعتبار أبيه ومنزلته.. ولقد جرى البحث منذ نحو خمسة أيام مع وجوه

(١) الوارديان أو الفارديا تعنى الحركة.

(٢) يتم اختيار الضباط من أبناء الأمراء والمشايخ.

الشام وبعض أغواتها في أمر العساكر المزمع أخذهم من الشام، وكيف يكون جمعهم وتجنيدهم؟ وأخيراً سويت هذه المسألة واستقر القرار على المبادرة في يوم الخميس القادم إلى جميع المجندين، وأوصى ذو الاختصاص بتنفيذ هذا القرار، وحرر ما لزم تحريره من أوراق المجندين المطلوبين من الضواحي والنواحي... وقد أعلمت أخى عبد كرم بإرسال دفتر العساكر المزمع أخذهم من الشام، وبكيفية إمساك هذا الدفتر واستعماله فهو الذي سيقوم بعرض هذا الأمر على أعتاب السرعسكر العلية.

هذا ما حفزنى إلى الإقدام على تسطير عريضتى عسى أن يتفضل مولاي المشير فيحيط علماً بما تضمنه من الشئون، وما الأمر والإدارة إلا بيد مولاي.

العبد

يوحنا بحري

* * *

الوثيقة الخامسة عشر

مساوئ التجنيد في بلاد الشام من وجهة نظر إبراهيم باشا

ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥١٠ بمحفظه ٢٥ عابدين (محفظه ٢٥ أبحاث الشام من دولة السرعسكر إبراهيم باشا إلى الجنب العالي، ٢٥ ذى الحجة ١٢٥٠هـ)

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي بدون من كان في بادئ الأمر يقبض على من يراد تجنيده بالقوة، ثم روى أن الأولى أن يطلب على أساس التوزيع على الإعانة وأنهم وإن كانوا يأتون بها بألف عناد ومشقة فإنما يأتون بها دافعين عن كل شخص مبلغاً من ثلاث كيسات إلى خمس كيسات.

وفي الواقع إن العاقل ليكره عن تقديم نفسه إلى الجندية، فإن الانخراط في سلك النظام والإسارة سيان، فإنه ليس عنده أى أمل ليقول: أقيم مدة كذا ثم أشرح إذا كان لى عمر، فإن تسريحهم من الجندية لا يكون إلا بإصابتهم بعاهاث مستديمة في أيدهم أو في أرجلهم أو في أعينهم أو في رؤوسهم، أعنى إذا أصبحوا في حالة لا يصلحون معها لشئ لا لجندية ولا لخدمة، ولذلك نعاني الصعوبة في تجنيدهم. وإذا كان الأمر كذلك فتخطر على بالي فكرة تحديد المدة لكيلا ييأسوا ويعتقدون أنهم يسرحون في وقت ما إذا كان لهم عمر، فيقبلون على التجنيد على أن يسرحوا حين تمام المدة المحددة، ويجند غيرهم بدلاً منهم. لست أدري هل هذه الفكرة توافق إرادتك السنية أولاً، فإن رأى الأعلى فيها إلى حضرة من إليه الأمر.

* * *

الوثيقة السادسة عشر

**كشف إجمالى إيرادات إيالات برالشام عن عامى ٤٨ و ١٢٤٩ هـ
والمتبقى منها لدى الصراف المتوفى**

سجلات الروزنامة (مجموعة متفرقات) دفتر التزامات درايالات شام شريف
وصيدا وحلب الشها وأدنه واجب سنة ١٢٤٨ و ١٢٤٩ هـ رقم الحفظ النوعى ١٩٢٣،
ع ٤٦، مخزن تركى ١، مسلسل عمومى ١٩٢٣

* * *

الوثيقة السابعة عشر

محمد علي باشا يسافر بنفسه إلى فلسطين للقضاء على ثورتها

ترجمة الوثيقة رقم ١٧٠ من سجل ٥٦ معية سنبة تركى (محفوظة ٧٥ أبحاث
الشام، من محمد علي باشا إلى المدير (٩ نسخ) ٩ صفر ١٢٥٠ هـ .

إن طائفة من أشقياء العرب النازلين في جبال نابلس والقدس قد طغوا في
الأيام الأخيرة وبغوا حتى كان من أمرهم أن اصطدموا بالآلاى أو الآلايين
المرابطين هناك من جنودنا، ونشبت الحرب بين الفريقين لولا أن تداركها حضرة
ولدنا الباشا السرعسكر إذ خف من يافة فتوجه إلى القدس، حيث انقض على
بعض القرى التي هى مجتمع أولئك الأعراب فمزق شملهم وأعمل فيهم السيف
حتى أوقع بكثير منهم، على أن معظم هؤلاء البغاة قد اعتصموا بقنن الجبال
ولجأوا إلى القرى، فافتضت مصلحة الحكومة أن تجتث جذورهم وتكسر
عودهم حتى تقطع دابرهم وتمحو أثرهم. وإنا وإن كنا مرسلين عليهم الآن من
مصر ثلاثة آلايات من المشاة والآيين من الفرسان، ونحو ألف من فرسان الأعراب

فأنى قد أثرت -بعد المشاورة- إنجاز هذه المهمة في أيام معدودات، فأزمنت السفر بنفسى لقضائها، وليكون لى من ذلك وسيلة لرؤية حضرة ولدنا الباشا السرعسكر المشار إليه، على أن أعود بعد بضعة أيام بمشينة الله تعالى ومنه. وإنما أكتب إليكم اليوم بعزمى هذا ليحيطوا به علماً فتكونوا إلى أن يأذن الله بعودتنا ساهرين على ما وكل أمره إليكم من المصالح، باذلين وسعكم في اجتناب كل ما عسى أن يورث الأعمال أدنى عطل أو إهمال.

* * *

الوثيقة الثامنة عشر

توجيهات إبراهيم باشا في كيفية جمع الأسلحة

ترجمة الوثيقة رقم ٢٨٧ بمحفظه ٢٤٩ عابدين (محفظه ٧٥ أبحاث الشام) من إبراهيم باشا السرعسكر إلى الجانب العالي، ١٣ جماد أول ١٢٥٠هـ.

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولى نعمتى بدون من تفضلتم فأمرتم في كتابكم المؤرخ ٥ جمادى الأول بجمع الأسلحة من حلب والشام، وإنى قد علمت مضمونه وأتشرف بأن أعرض على مولاي أنه ورد من عبد كمر شريف باشا كتاب بشأن أسلحة الشام وأرسلته طى عريضتى، كما أرسلت صورة الرد المرسل إليه.

ترجمة صورة الكتاب المرسل إلى شريف باشا من إبراهيم باشا:

قلتم في كتابكم الوارد: جمع ٣٣٠٠ ونيف بندقية في خمسة أيام ويمكن أن يجمع عدد آخر ولكنه يكون قليلاً. شريف باشا! لا .. بينما كانت نابلس أصغر من الصالحية التي هى إحدى أحياء الشام جمعنا منها ثمانمائة بندقية، وسكان جبل

نابلس ستة عشر ألف نسمة المحال ألا يوجد عند هذا العدد الكبير إلا ثلاثة آلاف بندقية، وإنهم لما قابلونا كانوا أحد عشر ألف أو اثنا عشر ألف شخص حاملين البنادق، وإذا نظرتم إلى هذا الأمر فمهتم عدد البنادق الموجودة في الشام، هؤلاء السادة لا يسلمون هذه الأسلحة بالسهولة، ويخفونها على زعم أنها تنفعهم كالأول، ويسعون غاية السعى لعدم إظهارها، فاسعوا أنتم أيضاً غاية السعى لإظهارها على الوجه الآتي:

أنهم ليسوا بهؤلاء الأشخاص الذين يحفظون أسرار بعضهم البعض فادفعوا خمسمائة قرش لواحد من كل حي، فإذا أظهر هؤلاء المأجورون أسلحة بعض أشخاص فالحقوهم بالجهادية بعد ضربهم خمسمائة جلدة "كرباج" إذا كانوا شباناً، وأرسلوهم إلى ليمن عكا بعد ضربهم خمسمائة جلدة إذا كانوا كباراً. وعاملوا عدة أشخاص بهذه المعاملة، ثم انظروا كيف تظهر تلك الأسلحة الخفية بسرعة باختيارهم، فإني يا شريف باشا لا أرى بثلاثة عشر ألف بندقية، اهتم بهذه المسألة للغاية، وشدد على مشايخ الحارات فإن المطلوب العالي هو أن تعملوا ما يمكن عمله في سبيل جمع الأسلحة فتجمعوها كله.

* * *

الوثيقة التاسعة عشر

إبراهيم باشا بين الأزمة المالية والضغط العسكري

ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٨/٤٠-١ بمحفظه ٢٥٨ عابدين (محفظه ٨٢ ابحات الشام) من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا ١٦ جماد آخر ١٢٥٥هـ.

يعرض عبد كرم الموسر الحالى أوان جنى المحاصيل في بر الشامر فلا بد من تشمير ساعد الجد من الآن لتحصيل الأموال والبقايا فإنه إذا فوت هذا الأوان فليس في الإمكان تحصيل مال هذه السنة فضلاً عن البقايا، فيؤدى الأمر إلى انضمام مال هذه السنة أيضاً إلى البقايا السالفة. ولذلك فبدلاً من إضاعة الوقت في سهول مرعش من غير عمل، فخير أن تبقى جيوشنا في معسكراتهم، أى يبقى الجيش المرابط في مرعش في قيادة عثمان باشا، ويبقى أحمد باشا المنكلى في أدنة كما كان، فأتوجه أنا إلى حلب وحما حتى الشام إذا سمحت الظروف، وأعمل بكل ما أوتيت من القوة لتحصيل البقايا السالفة الذكر، فأستطيع ببركة أنفاس ولى النعم جمع أموال كثيرة في مدة وجيزة، فيمكننا حينئذ أن نصرف لعساكرنا مرتبات بعض أشهر مما يؤدى إلى رفاههم... إذا وافقت فكرتى هذه طبيعة الموقف السائد الآن ولقيت قبولا لدى ولى النعم فأرجو التفضل بسرعة إشعارى بذلك، وأخيراً فالرأى الأعلى لمولانا.

وجاء الرد عليها في ٢٥ منه متضمناً: يستدعى طبيعة الموقف السائد الآن أن لا يغادر إبراهيم باشا الموضع الذي يقيم فيه إلى الورا ولو خطوة واحدة، ويجب أن يلزم مكانه، كما يجب ألا ينسحب العساكر المرابطة في الخطوط الأمامية إلى الداخل، أما تحصيل الأموال فيجب أن ينتدب له بعض العمداء.

الوثيقة العشرون

الحرص على تحديث الإدارة المالية لآخر وقت

مكتبة رقم ١٨٧ بحفظه ٢٥٧ عابدين (محفظة ٨٢ أبحاث الشام) من محمد

شريف باشا إلى حسين باشا (باشمعاون الخديوى)، ١٤ جماد أول ١٢٥٥هـ

كنت قد أرسلت كتاباً إلى سعادتكم بتاريخ ١٧ صفر ٥٥ وداخله صورة من اللائحة التي وضعها حضرة بحري بك يلتمس فيها ترتيب مفتشين في الآلات وتعيين معاونين وكتاب في معيهم، وكذا تعيين صيارفة أخصائيين، وإرسالهم إلى القرى لتدريب الصيارفة والمعلمين على أداء مهمتهم. والآن تلقيت إرادة ولى النعمر الناطقة بأن جنابه العالي أطلع على اللائحة المذكورة ويريد الوقوف على هل إذا كان المفتشون والمعاونون والكتاب المطلوب ترتيبهم من ذوى الاقتدار والأهلية موجودون في هذا الجانب (الشام) وما هو عدد المفتشين وعدد الكتاب وعدد معاونين اللازمين.

وحيث أنه ورد في اللائحة المذكورة أن عدد الآليات عبارة عن ست أيلة، وأنه يلزم ترتيب مفتش واحد لكل إيلة منها وترتيب قرين معاونين وأربعة أنفار كتاب في معية كل مفتش منهم، بناء عليه يبلغ عدد المفتشين اللازم ترتيبهم ستة، وعدد معاونين اثنا عشر، وعدد الكتاب أربعة وعشرون مكتاباً، فإذا وافقت إرادة ولى النعمر ترتيب هؤلاء الموظفين بموجب نص اللائحة هذه، فإن ولى النعمر يعلم جيداً المفتشين ذوى القدرة الموجودين في هذا الجانب، فيصدر إرادته السنية بتعيينهم. وحيث أن الكتاب الأربعة والعشرين اللازمين يجب أن يكون اثنا عشر الباقين كتاب ثانويين، فبناء عليه يمكن تعيين الكتاب الرؤسا من

مصر والكتاب الثانويين من هذا الطرف. أما المعاوين^(١) فعلى أغلب الظن لا يمكن العثور عليهم في هذا الطرف، لذلك يحتاج إحضارهم من مصالح التفتيش الموجودة في مصر... بقيت مسألة الصياغة اللازمين الذين يكونون حائزين الثقة والاعتماد في قبض الأموال وصرفها فإذا وافق ولي النعم على اختيارهم من خطباء وفقهاء القرى فيلزم إرسال صياغة قادرين من مصر لتعليم هؤلاء أداء هذه المهنة، فبعد الإطلاع أرجو أن تفضلوا بعرض الكيفية على أعتاب ولي النعم.

* * *

(١) وصحيحها المعاوين.